

الحج الأكبر
الأبعاد الغائبة في الفريضة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مدخل موضوعي :

١- حين بدأ خطيب العيد خطبته عن الحج ، وعن المشاعر المقدسة ، عن منى ومزدلفة عن الصفا والمروة لاحظت بكاء صاحبي الذي صحبني إلي مصلى العيد ، أدهشني بكاءه الحار في هذا اليوم - العيد بعد انتهاء الخطبة سألت صاحبي : ما الذي كان يبكيك ؟

فقال : أبكاني حديث الرجل - الخطيب - عن الحج ، و زاد بكائي شوقي وحنيني
وتشوقي إلي بيت الله الحرام ، وعجزي عن أداء هذا الركن الركين ، وزيارة البيت المعظم
، وكذا مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، والصلاة في مسجده .

فقلت : وما الذي يعجزك عن أمنيتك هذه ؟

فقال : ألا ترى وتتابع هذا المزاد الذي يقوم به بارونات الحج فيفي كل من مصر
والسعودية دون حسيب أو رقيب حتى بلغة تكلفة الحج إلي عشرات الآلاف من
الجنيهات ، فمن أين لي بكل هذه الأموال !!؟ ثم أنه ومع الارتفاع الجنوني في التكلفة
، فإنها أصبحت وربنا يسامحني - رحلة إلي المجهول - نظرا لاستهانة هؤلاء بأرواح
الناس فإن لم تمت في باخرة أو عبارة تهدمت عليك بناية متهالكة تسمى (فندق) ، وان
لم يكن هذا ولا ذاك تدهسك سيارة موكب أحد أمراء البيت السعودي الذين يرفضون أن
يؤدوا فريضتهم وسط العامة والدهماء أمثالنا (!!) ، أو رحلت تحت التزاحم والتدافع
تحت الأقدام والأجساد في رمى الجمار ، ثم خاطبني (بحده وتأزم زكأنه قنبلة توشك
على الانفجار) قائل : أسمع يا أستاذ من المسؤول عن ما يحدث هل العلماء ، أم الحكام
، أم المثقفين أمثالكم ، أنا اعتقد أن هذه الأحداث لو كانت تحدث منذ زمن طويل ما كان
أحد حج ولا زار ولا اعتمر ، واعتقد أن هذه الأمور كلها طارئة علينا وعلى المسلمين
ويجب أن تنتهي ، وإلا يمكن أن نتهم نحن (عامة المسلمين) هؤلاء بأهم يحاولون أن
يصدوا الناس عن بيت الله الحرام وعن الحج ، وهل هو موضوع الحج والعمرة وتيسيرها
وتنظيمها أمر صعب جدا كما يتحجج ويروج هؤلاء .

وما كان مني إلا محاولة تطيب خاطره فقلت : هون عليك وإنشاء الله سوف تسعد بزيارة
البيت وتعود سالما .

وبعد انصرافنا وتفرقنا ظلت هذه المحاوره تشغل ذهني وتضغط على أعصابي ، فالرجل
قد اختصر كل أعمالنا المقدسات ن هذا الشعور الذي أبداه الرجل وعبرته الممتلئة بالدمع
تمكن أن تمثل صحيفة إدانة واتهام وأبحاثنا المتخصصة حول المقدسات التي أجزاها كلا

من مركز يافا للدراسات والأبحاث (القاهرة) ، ومركز لكل هؤلاء الذي استلبو مقدساتنا وحولها إلي تجارة ، ونزعوا عنها أبعادها الروحية ، وحولوا الحجاز إلي (مولات تجارية) ، والرحلة إليها محفوفة بالمخاطر على حد تعبير الرجل (رحلة إلي المجهول) . إن الأزمة التي تأخذ بخناق هذه الأمة لها عدة تجليات ، وأحد هذه التجليات هي حماية ورعاية المقدسات الإسلامية في مكة والمدينة وأرض الحجاز ، فهذه المقدسات أحد معالم الوحدة الإسلامية ، فالمسلمون يجتمعون في موسم الحج من كافة أرجاء الدنيا ، ومن شعوب شتى ، تجمعهم كلمة التوحيد ، ويقفون على صعيد واحد ، ينادون بنداء واحد " لبيك اللهم لبيك " ، فالمقدسات هي من عوامل الوحدة الإسلامية ، بمعنى أنه كلما أدينا المناسك وحافظنا على الشعائر واعتززنا بمقدساتنا كان ذلك من الاعتصام بحبل الله ومن أسباب الوحدة الإسلامية ، وكذلك فإن الوحدة الإسلامية هي التي توحد النظم الاجتماعية والثقافية والسياسية وهي ضرورة لحماية المقدسات ، فمالم يكن هناك وحدة واجتماع في المحيط الإسلامي ، ومالم يكن هناك مشاعر واحدة تؤلف بين القلوب المسلمين فلن نستطيع حماية المقدسات فهناك ترابط وثيق بين المقدسات وبين الوحدة الإسلامية ، فكل منهما يؤكد الآخر .

٢- هذا الحزن والأسى الذي أصاب صاحبي في مصلى العيد عاد وأصابني وأشد ، حين استمعت لخطبة عرفة التي ألقاها الشيخ / عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ ، فقد كنت أشفق على من سيقف في مثل هذا الموقف هذا العام نظرا لتلك الأحداث التي تهدد أمن وسلامة هذه الأمة ، فمن الأوضاع المضطربة في فلسطين (المحتلة) ، إلي الأوضاع الغير مستقرة في لبنان ، وكذلك حال العراق الأسير والمهدد بحرب عرقية وأثنية وعقائدية ، إلي إيرات وسوريا التي يتربص بهما العدو الأمريكي ويحاول العدوان عليهما ، وكذلك الأزمة التي تمر بها أفغانستان ، والسودان والصومال وو الخ .

الحاصل أن الرجل (عبد العزيز آل الشيخ) لم يقترب من هذا أو ذاك وكأن الأمر لا يعنيه أو يقع لامة غير هذه الأمة التي هي حاضرة الموقف والمشعر الحرام ، فالرجل

الذي استشهد بخطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، في حجة الوداع وأجمل خطبته في محاور أربعة هي :

- أسباب تعظيم يوم عرفة .
- فضائل يوم عرفة .
- خطبة النبي يوم عرفة ويوم النحر .
- حال السلف يوم عرفة .

ترى هل هذا الذي يريدونه الذين حضروا المشهد أو الغائبين عنه مثلى ، وهل بعروجه وذكره خطبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قد وفى الغرض ، فالرجل ذكر الخطبة نعم ، لكنه لم يذكر المحتوى أو السبب الذي من أجله ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه الأقوال ، فموقف الحج وخطبة عرفة تمثل اللقاء الكوني الأعظم ، أو حسب المصطلح المعاصر هو (الجمعية العمومية السنوي للامة) التي تجتمع فيه لتستذكر مهامها السابقة واللاحقة وما يجب أن يصنع ، وهى كشف حساب للعام الماضي ، وبرنامج وخطط العام القادم فهذا (الحج) اجتماع نهاية العام في الشهر الأخير منه (١٢) ذو الحجة ، الذي بتمامه تنتهي السنة واعمالها ويجب أن تجرى عملية المراجعة وفقا لهذا المنظور .

اعتقد أن هذا ما تضمنه خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفق ما سوف نوضحه في هذه الدراسة التي بين أيديكم والتي سوف نجد فيها كيف أن النبي جعل من هذا المشهد ووفقا لأمر الله جل وعلا مشهد جامع ، وكيف أنه صلى الله عليه وسلم جعل حماية هذه المقدسات أمانة في عنق الأمة إلي يوم الدين .

هذا والله أعلم

المؤلف

ففي بخطبة الوداع النص والمغزى :

يحتفظ الوعي العام الإسلامي ، وكذلك التاريخ المدون بحادثة من أهم أحداث التاريخ النبوي ، بل هي حادثة فريدة لم تتكرر ، كما أنها اختزلت معان ومعارف ودلالات تستحق الإشارة إليها والإشادة بها وكذلك التعلم منها ، فهي حادثة ملهمة لكل الذين يبحثون في تاريخ النبي للتعلم والتأسي لحل معضلات مشكلة في تاريخنا المعاصر ، هذه الحادثة هي المعروفة في التاريخ الإسلامي ب (حجة الوداع) وخطبتها الفريدة ، والتي

حملت وترجمة فلسفة هذه الفريضة ، وهذا الاجتماع الكوني الأعظم ، فقد روت جل كتب التاريخ أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لما دخل ذو القعدة من سنة ١٠ هـ ، تجهز للحج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأمر الناس بالجهاز له ، فخرج (صلى) إلي الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة .

فيجتمع في أطراف مكة بأفراد قبائل العرب وممثليها ، فيأخذوا منه شرائع الدين وأحكامه ، ويأخذ منهم الشهادة على أنه أدي الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة .^٢ أعلن النبي صلى الله عليه وسلم بقصده لهذه الحجة المبررة المشهودة ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتبس أن يأتي برسول اللخ صلى الله عليه وسلم .

وقد اجتمع حوله مائة ألف وأربعة وعشرون أو أربعة وأربعون ألفاً من الناس ، فقام فيهم خطيباً ،^٣ وألقى هذه الخطبة الجامعة المعروفة في كتب التاريخ والسير بخطبة الوداع فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبعد أن حمد الله وأنشئ عليه تعالى بما هو أهله ، وحث الناس على الطاعة والتقوى ، واستفتح بالذي هو خير : " أيها الناس ، أسمعوا مني أبين لكم ، فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤديها إلى الذي ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية . والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه بغير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تُحرقون من أعمالكم . أيها الناس ، إنما النسيء زيادة في الكفر

٢ - صفى الرحمن المبار كفورى ، السيرة النبوية ، ص١٢٢

٣ - الذهبى ، تاريخ الإسلام ، ١/٥١٢ .

، يضل به الذين كفروا ، يحلونهُ عاماً ويحرمونه عاماً ، ليُوطئوا عدة ما حرم الله ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنتا عشرة في كتاب الله (يوم خلق) السموات والأرض ، منها أربعة حُرْم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد^٤ . وبعد أن تكلم عن النساء وحقوقهن على الرجال ، وواجبات الرجال نحوهن ، عاد صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : " أيها الناس ، إنما المؤمنون اخوة فلا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد . فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض ، فأنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا : كتاب الله ، إلا هل بلغت ، اللهم اشهد . أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلُّكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عن الله أتقاكم ، فليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ؛ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : فليبلغ الشاهد الغائب . أيها الناس ، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوأرث وصية [ولا تجوز وصية] في أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مقدمات خطبة الوداع والموقف وفيما أربعة مسائل :

حينما نتأمل هذه الخطبة ونعلم – كما قلنا مسبقاً – أنه تمثل خطبة الجمعية العمومية للاجتماع الكوني الأعظم الأعظم ، يبقى ما قلنا سابقاً كلاماً مرسلًا يحتاج إلي دليل دامغ قوى حتى تتأكد وتثبت هذه الملاحظة ، أو هذه الإشارة .

إن الثابت وطبقاً لكتب السير والتواريخ المعتمدة ، أن فريضة الحج وخطبتها (عرفة) نظراً لان الحج عرفة ، مثلت تمام مرحلة أعمال الدعوة والجهاد النبوي للنبي صلى الله

^٤ – ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ٤ / ٥٦ . ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ / ٤٦٧ .

^٥ – ابن عبد ربه الأندلسي ، مرجع سابق ، ٤ / ٥٧ .

عليه وعلى آله وسلم ، إبلاغ الرسالة ، وبناء المجتمع الجديد أساسي من إثبات الألوهية لله جل وعلا ، ونفيها عن غيره تعالى ، وعلى أساس رسالة النبي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد عرف النبي تأكيداً وعن طريق الوحي الإلهي أن مقامه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في الدنيا أوشك على النهاية ، حتى انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن سنة ١٠ هـ ، قال له – فيما قال : (يا معاذ ،

إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبرى)^٦.

إذا ، فالنبي يوشك أن يودع أمته وهذه واحدة ، والثانية : لو تأملنا العدد الذي اجتمع به صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، في صعيد عرفة وهو مائة ألف وخمسين ، فهؤلاء لم يكونوا هم الحضور في المشهد فقط ، بل أزعم أنهم هم إن لم يكونوا كل الذين أسلموا في زمن النبي فإنهم جلهم ، وان البقية ممن لم يحضروا لم يمثلوا غير الشيوخ الرتع والأطفال الرضع وبعض أو وكلاء العمال في الأمصار .

الثالثة : بعد فتح مكة في سنة ثمانية للهجرة لم يحضر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حجة سنة تسعة والتي أرسل عليها أبوبكر الصديق ، ثم بعث الإمام على بن أبى طالب ليبلغ عنه سورة براءة في المشهد ويتلوها على الناس .

من العجب أن هذه الحجة – حجة عام تسعة – لم تستوقف أحد لماذا لم يحضرها النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) . وإنما شهد الحجة التي تلتها وهى حجة الوداع ، وإذا تتبعنا المسافة الزمنية بين العام تسعة من الهجرة والسنة التي تلتها من خلال كتب السيرة النبوية والتاريخ لعلمنا أن السنة التي نحن بصددها – سنة عشرة للهجرة النبوية المباركة – أدر كنا أننا أمام (سنة الوفود) وهى إعلان الإسلام كدين رسمي لكل الجزيرة العربية فقد سجلت كتب التاريخ قدوم وفد قيس ووفد بنى الحنيفة ، وكذا وفد طئ وبنى زبيد ووفد كندة ، وأسلم أهل جرش ووفدهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقدم رسول ملك حمير ، وإسلام بنى الحارث بن كعب ، وقدم وفدهم على النبي

٦- صفى الرحمن المبار كفورى ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم قدوم وفد همدان ، وكذلك قدوم وفد تميم ووفد بنى عامر ووفد بنى سعد ، وكذا وفد الازد ووفد نجران .^٧

هذه الجموع الكثيرة الكثيرة التي مثلت أناس مختلفة الأهواء والعادات والتقاليد التي اتبعت النبي ودخلت في الإسلام وتطلعت إلي حضور المشهد معه والاقتراب منه ، وقد أنصب جهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلي تعليمهم وأعلامهم بأنهم عليهم أن ينتقلوا من مرحلة الجاهلية والقبيلة والفخذ والعائلة والأسرة ، إلى مرحلة الاخوة الكاملة (المواطنة) ، وأن لهذه المواطنة شروطها وضوابطها ، وهذا يتطلب منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقيم لهم معسكر تدريبي وتأهيلي في صعيد واحد ومكان واحد ، وينتقلوا فيه وفق أوامر القائد والمنظم وان يلتزموا بأوامر الدورة التأهيلية .

وهو الأمر عينه الذي سيتكرر كل عام ، وسيتكرر إلي ما شاء الله ، حيث سيقصد هذا البيت وهذه المشاعر وهذا الصعيد أناس من كل المعمورة مختلفي العادات والتقاليد واللغات واللهجات وعليهم هنا أن يتعلموا أنهم مسلمون يدينون بدين واحد وهذه (الحج) المشاعر هي بوتقة الانصهار .

الرابعة : حجة سنة تسعة مثلت إعلان المبادئ الإسلامية والتي يجب أن يتم العمل بها بدءاً من هذه السنة إلي ما شاء الله جل وعلا ، فمن ارتضى هذه المبادئ التي بلغها الإمام على بن طالب بناء على الأمر النبوي الصادر من الله جل وعلا ، والتي تمثلت وطبقا للنص القرآني في الآتي :

- أن لا يطوف بالبيت عريان أو مشرك .
- أن المشركين لهم عند الله وعند رسوله عهد مؤقت .
- أن الله برئ من المشركين ، ورسوله منهم براء .
- ليس للمشركين حجة إلي هذا البيت بعد عامهم هذا ، ولا يدخل مكة مشركاً بعد هذا العام .

^٧ - الذهبى ، مرجع سابق ، ١ / ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ .

هذه المبادئ أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يرسخها قبل قدومه للحج الأكبر ، وكأنه أراد إزطال الزمان وضعفت الأمة أن لا يحتاج أحدا بفعله وسكوته أو مشاهدتهأنه راء عراة يطوفون بالببيت في حضور النبي ، أو أنهم شاهدوا لمشركين يطوفون بالببيت في حضرة النبي وبعد إعلان الإسلام دين رسمي للجزيرة العربية .

ومن هنا نستطيع أن نقول أن المقدمات التي أرادها صلى الله عليه وآله وسلم ، أن يكون حجته حجا إبراهيميا على الفطرة ، وعلى الحنفية السمحاء ، وعلى مبادئ أن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأن هذا البيت لله يدخلم عبادهاالموحين لا المشركين ، وأنه من غير الجائز أن يحضر إلي هذه الأماكن المقدسة المشركين والأعداء .^٨

:

كما أوضحنا في السابق ، أن هذه الخطبة هي من الأهمية بمكان أن نقف عندها ونتدارسها ، وأن نستقى منها أبعاد سياسية أرد صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلغها للامة ، وحمل أمانة التبليغ للذين شهدوا هذا المشهد ، وعليه يمكن أن نتهم الحكومة التي استولت على مقادير الأمور في هذه الأراضي المقدسة ووفقا للمحاور الآتية وتعاليم النبي الخاتم وخطبته أنها خرجت عن وصيته الأخيرة التي بلغها وأمرهم أن يعلموها من بعدهم وهي : المحور الأول : الاخوة الإسلامية اخوة جامعة مانعة وحرمة أكل أموال الناس بالباطل :

وذلك في قول النبي : " أيها الناس ، إنما المؤمنون اخوة فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد . فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض ، فأنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا : كتاب الله ، إلاهل بلغت ، اللهم اشهد . أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ،

^٨ - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٣٣٨-٣٣٩

أكرمكم عن الله أتقاكم ، فليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ؛ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : فليبلغ الشاهد الغائب .

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أراد أن يبين للحاضر ، وليبلغ الحاضر الغائب ، أي ليبليغ هذا الجيل الأجيال القادمة أن المسلمين أخوة ، ولا يجوز أن يحوز أحد مال أحد ، ولا يجوز للحكام أن يحرّموا الناس ، أو أن يبعدهم ، أو يضربوا أعناقهم دون حق ، وان الجميع من اصل واحد وهو آدم ، وآدم من تراب حتى لا يتفاخر أحد على أحد ، بيد أن الواقع يشهد أن آل سعود خالفوا هذا وهذا وعاملوا الناس على انهم عبيد إحسانهم في هذا الخصوص شهد الواقع والممارسات على الأرض أن آل سعود مارسوا سياسات يمكن أن توصف بأنها سياسة تمييز عنصر ضد الحجازيين عامة والشيعية الامامية (الاثنى عشرية) ، وكذلك الشيعة الإسماعيلية ، إضافة لباقي المذاهب الأخرى ، وايضا المعارضيين السعوديين ، وربما بعض من الجماعات السلفية الراديكالية من السلفيين الجدد ، تمثلت هذه السياسات في الإفكار المعتمد ، والذي شمل الحرمان من التعليم ، ومن الرعاية الصحية ، ومن ندرة فرص العمل ، وتعتمد عدم قبولهم كموظفي دولة أو في المشاريع التي تكون الدولة جزء منها أو صاحبها ، إضافة إلي حرمان البعض من حق العيش والتجنس (المواطنة) مما يجعل الحكومة السعودية برئاسة البيت السعودي حكومة أقلية عنصرية ومذهبية كحكومة جنوب أفريقيا سابقا .

وقد أجرت مجلة المشاهد السياسي تحقيقا تحت اسم " السعودية إمبراطورية النفط وولاية عصر مدن الصفيح رصدت خلاله الحالة المعيشية للسكان في المملكة وجاء فيه : " يشتهي ملايين السعوديين من أبناء المنطقة الشرقية الغنية بالنفط وأبناء بعض أحياء العاصمة الرياض وجميعهم من طائفة واحدة من إهمال الحكم لهم إلى حد تجاوز التفرقة بينهم وبين سواهم في الحقوق ، وعلى رأسها الوظائف والتعليم والابتعاث الخارجي والتعامل مع طلباتهم واحتياجاتهم الشخصية ومستحقات مناطقهم السكنية من الخدمة وامتدادا إلى أهم الاحتياجات اليومية والدائمة وهي السكن اللائق . ففي حين يحظى

الكثير من السعوديين بأراضٍ واسعة وفلل فارهة وبيوت عصرية ومناطق سكنية متقدمة إلى حد ما ، لا تزال ظاهرة بيوت الصفيح ، التي لا تليق بالبشر عموماً بما في ذلك الدول الفقيرة التي بدأت بدورها بمعالجة هذه المشكلة المهيمنة ، وليس في واحدة من أغنى دول العالم وأكثرها إنتاجاً وتصديراً واحتياطياً نفطياً كما هو حال المملكة العربية السعودية ، مجال معاناة فئة كبيرة من المواطنين السعوديين الذين لا ذنب لهم سوى أنهم من غير النجديين أو لأنهم من أتباع طائفة معينة لا تدين بالولاء لأحد آخر غير بلادها ولا تحمل لواء التغيير في بلادها على خلاف سواها.

وقد تفاقمت ظاهرة مدن الصفيح هذه التي لا توفر أبسط الخدمات الأمنية أو الصحية ولا تتمتع بطرق مواصلات ولا خدمات ماء وكهرباء ونظم اتصالات ، على نحو ملفت للنظر يرسخ حقيقة تعمد النظام الانتقام من هذه الشرائح من مواطنيه ورغبته في إنزالهم والانتقاص من قدرهم والإساءة إليهم وتجريدتهم من أهم حقوق المواطنة . فعلى امتداد رقع سكنية كبيرة وفي مناطق كثيرة في المنطقة الشرقية تحديداً ، يعيش ملايين السعوديين على الكفاف بدون مدارس مقبولة الإمكانيات ويعانون من غياب كامل لفرض العمل ، الأمر الذي يعرضهم للأمراض والأوبئة بكل أنواعها . وهناك منهم من ينام في العراء أو في علب وكراتين من الورق أو في بقايا الإطارات القديمة التي جعل منها توابيت مبكرة . ومن البديهي أن تفتقر هذه الأحياء الفقيرة المعدمة إلى مياه الشرب أو الاستحمام أو إلى الحماية والأمن التأمين الصحي أو النقل الجماعي ولا يكاد أفرادها على كثرتهم يحبون ضمن من يتقاضون أي عائد من الدخل الوطني أو القومي فيما الأحياء الغنية المقربة من الحكم التي يتمتع أفرادها بكل وسائل ومتطلبات الرفاه بما في ذلك السكن والسيارات والخدمات الأساسية الأخرى ، ترتفع نسبة مداخيل الفرد الواحد فيها من ٧٢ إلى ٥٠٠ دولار فيما يتقاضى العاملون في وظائف الدولة أضعاف مثل هذه المبالغ ويتعامل التجار ورجال الأعمال بأضعاف مضاعفة من آلاف الدولارات شهرياً لا سنوياً .

وربما كان الفقر حالة عامة في الكثير من الدول العربية ودول العالم الثالث والدول معدومة الموارد . لكن الظروف تغيرت والأوضاع تطورات وبات العرب من ضمن أغنى الدول العالم بسبب عائدات النفط . وباستثناء الفلسطينيين المشتتين والموزعين إجباريا أو اختياريا على كامبات ومخيمات تفتقر إلى ابسط متطلبات الحياة الكريمة في الداخل ، والخارج في الدول لبعجورة للأراضي العربية المحتلة ، فان اغلب الدول العربية النفطية التي لم تدخل في متهات الحروب ومغامرات القوة "العراق " تعيش في بحبوحة إلى حد ما ولم تعد البيوت الرملية أو الطينية أو القديمة المبنية من الآجر هي السمة المميزة للعواصم والمدن الرئيسية ولا في الأحياء القروية والمدن الريفية . هناك الآن مدن عصرية ومجمعات سكنية ومناطق عصرية تناقش افضل مدن الغرب وعواصمه بما في ذلك الأميركية المعروفة بناطحات سحابها ومجمعاته التجارية التي تجمع اكبر البضائع أصغرها دون استثناء تسهيلا للزبائن وتوفيرا وأفضل الموديلات والأزياء التي ترد من أكثر الشركات تقدما والمحال شهرة في العالم قاطبة .

وباتت منطقة الخليج والجزيرة العربية أكثر من سواها تقدما عمرانيا وتسابقا مع بقية عواصم ودل العالم في الاستفادة من وسائل الرفله وآفاق التنمية الحضرية التي تبرز من خلال التخطيط العمراني للشوارع والطرق والجسور ووسائل الاتصال والانتقال " السيارات الفارهة بكل أنواعها وأحجامها وماركاتها " والتبضع بكل أشكاله وأيضا المباني السكنية الفردية " البيوت والقصور والفلل " والجماعية " العمارات والمجمعات متكاملة الخدمات وناطحات السحاب الصغيرة " والترفيهية " السواحل والبلاجات " والسياحية والخدمية " الفنادق والمستشفيات والمصحات والمراكز الطبية " .

ووفقا لأرقام صحيحة وشواهد على الأرض فان حجم الأنفاق على التنمية العقارية في الخليج والجزيرة العربية ربما تجاوز الترليونى دولا خلال فترة وجيزة جدا وان حجم الاستثمار الأجنبي الحالي على تطوير المواقع والأنشطة الإسكانية والترفيهية والحضرية بكل أنواعها في المنطقة أيضا يكاد أن يقترب من هذا الرقم وفي أغلب الدول العربية

النفطية " الخليجية تحديدا " بات شعار " لكل أسرة دار تحفظ كرامتها " حقيقة واقعة بدأتها الكويت بعد استقلالها مباشرة عندما حولت الدولة مستفيدة مكن تنامي عائدات النفط أربع أو خمس مناطق سكنية بدائية بوحداتها التي لا ترتقي إلى مسمى البيوت ، إلى مناطق سكن شعبي وفرت لأصحابها بدائل عن الخيم والصفوح والبيوت الطينية ، إلى وحدات سكنية مبنية بطرق حديثة وعصرية لكن بشكل بسيط يتضمن كل متطلبات الخدمات الأساسية " غرف النوم والمعيشة والاستضافة وهي جميعا مزودة بالماء والكهرباء " . وسرعان ما طورت الكويت هذه التجربة ببناء بيوت أكثر تطورا وتقدما وعلى طراز متقدم وحضاري عندما باتت قضية توفير السكن للأسرة الكويتية لكل مستحق ، من مسؤولية الدولة فاستقدمت مئات الشركات العالمية لهذا الغرض الذي مازال نشاطه قائما إلى الآن والذي كلفها عشرات المليارات من الدولارات على مدى أربعة عقود من الزمان فضلا عن تقديمها خدمة الإقراض السكاني معدوم الفوائد ومبسط الاستقاع المرتبط بتخصيص أراض من الدولة بمساحات كافية تماما لتأسيس أسر لمن يبلغ مرحلة الزواج ويخطط للاستقرار .

وحتى في المغرب الدولة الأقل موارد من سواها على الرغم من أن تعداد سكانها يعادل كل دول الخليج والجزيرة العربية " باستثناء العراق " فان الحكومة التفتت إلى ظاهرة بيوت القيق أو مدن الصفيح " لايتجاوز عدد سكانها المائة ألف نسمة " وشرعت في بناء البيوت والأحياء العصرية مخففة التكلفة للسكان إنقاذا لهم من الأمراض والأوبئة ووفاء لما تعتبره الدولة المغربية ودول ومجتمعات أخرى مستحقات ثابتة تدخل ضمن لائحة حقوق الإنسان .

لكن ، لماذا لم تتغير الأحوال في المملكة حيال مدن الصفيح حتى بعد أن زار ولي العهد السعودي (الملك الحالي) بعض لا كل هذه المدن وهاله أوضاع ومعاناة أهلها وحجم الظلم الذي لحق بسكانها وهم جميعا مواطنون سعوديون أصليون وليسوا أجانب ؟ ومن الذي أعاق إصلاح أحوال هؤلاء أو حال دون بناء مساكن بديلة لهم أو تنفيذ مشاريع سكنية

على حساب الدولة أسوة بما تعمل به دول الخليج الأخرى؟ فهل القرار سياسي؟ أم ديني؟ أم أن التكلفة المالية هي التي أوجبت غض النظر عن هؤلاء أو إهمال حاجتهم الأكيدة وأصيلة إلى سكن بديل عن مدن الصفيح في إمبراطورية النفط التي مابين ٧٠ إلى ١٠٠ مليار دولار سنويا على آل سعود وليس على الخزانة العامة للدولة؟ أم أن هناك أسبابا أخرى غير معروفة لهذا الازدراء أو التغافل المعتمد أو التقصير المقصود من قبل الحكومة والمؤسسات المعنية في المملكة خصوصا وان هناك تجمعات سكانية في بعض الولاة النفطية تعيش فوق بحيرات وبرك ومستنقعات نفطية ولا تريد الدول المعنية البناء على هذه الأماكن وتفضل أو تخطط لنقل السكان إلى مناطق بديلة للتوجه لاستثمار المخزون النفطي في مناطقهم بطرقها الخاصة .

وفى دراسة حديثة لأستاذ الخدمة الاجتماعية في جامعة محمد بن سعود الإسلامية الدكتور راشد بن سعد الباز ، والذي قام بدارسة مهمة حول دخل للمواطن السعودي والفقر واسبابه وندرة فرض العمل وأكدت الدراسة أن الحد الفاصل للوصول لمستوى الكفاف للمواطن يبلغ ١٦٦٠ ريالاً شهرياً ، فيما يبلغ خط الفقر ١١٢٠ ريالاً ، وذلك حساب كلفة السكن .

وقال الدكتور الباز لـ " الوطن " من الصعوبة الوصول لتحديد دقيق لمستوى الفقر في السعودية لارتباطه بعدد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والصحية والبيئية ، ولكن هناك معايير ومعادلات كمية عديدة لحساب مستوى الفقر في بعض المجتمعات تتصف بعضها بالتعقيد وتعتمد على بيانات ومؤشرات اقتصادية عديدة ، التي من أهمها الاعتماد على متوسط دخل الفرد " وبالتالي فإن الأسرة المكونة من زوجين وطفلين إذا كان متوسط دخلها السنوي يبلغ ٣٦٩٨٤ ريالاً أو أقل " أي ٣٠٨٢ ريالاً شهرياً أو أقل " ، فتُعد في دائرة الكفاف .

ويشير الباز إلى أن هناك عدة مؤشرات تدل على أن مشكلة الفقر في المملكة أكبر مما يعتقد ، التي من أبرزها : مشكلة البطالة بوصفها سبباً رئيساً في مشكلة الفقر ، على

الرغم من الافتقاد إلى بيانات دقيقة فتقديرات حجم البطالة مختلفة لكنها تُعد مرتفعة حيث يصل أقل تقدير لها إلى ضعف النسبة المقبولة في المجتمعات ، فيُشير تقرير حديث لمصلحة الإحصاءات العامة أنّ نسبة البطالة ٨,٥ ٪ من إجمالي قوة العمل الوطنية " مصلحة الإحصاءات العامة ، ١٤٢٤ " ، وتحدد بعض المصادر الدولية البطالة بـ ١٢٪ ، وهذا يعني وجود ما يقرب من مليون عاطل عن العمل من إجمالي القوى العاملة ، بل إنّ مصادر أخرى مثل منظمة **BBC** البريطانية تُشير إلى أنّ نسبة البطالة تتراوح بين ١٥ ٪ إلى أكثر من ٢٠ ٪ ، ولعل المؤلف يستشهد ببراد بورلاند كبير الاقتصاديين في البنك السعودي الأمريكي الذي أشار في محاضرة له في المؤتمر الدولي التاسع عشر للطاقة في مدينة بولدر الأمريكية من أنّ نسبة البطالة في السعودية تصل ١٥,٢٥ ٪ من القوى العاملة ، فيما تشير تقارير اقتصادية إلى أنّ البطالة في السعودية تُشكل ٢٥ ٪ أو أكثر من القوى العاملة ، وفي هذا السياق يُشير وزير العمل والشؤون الاجتماعية من أنّ هناك ٣,٢ ملايين سعودي يبحثون عن وظائف ، وإذا علمنا أنّ حجم القوى العاملة المهية لدخول سوق العمل في المملكة وهم الذين تتراوح أعمارهم من ١٥ سنة إلى ٦٤ سنة من الذكور والإناث تبلغ ٧,٤٢٥٥٣٧ حسب إحصائيات ١٩٩٩ م " الخصائص السكانية في المملكة العربية السعودية ،

١٩٩٩" يتبين عظم حجم المشكلة ، إضافة لارتفاع عدد المتقاعدين ممن يتقاضون معاشات محدودة فعلى سبيل المثال تُشير إحصاءات مصلحة معاشات التقاعد إلى أنّ ٣٠ ٪ من مشركي قطاع العسكريين تقل رواتبهم الشهرية عن ٣٠٠٠ ريال . وأظهرت إحدى الدراسات أنّ غالبية المبحوثين من المتقاعدين أشاروا إلى أنّ المعاش التقاعدي غير كافٍ في الوقت الحاضر لتلبية احتياجات الأسرة " السلطان وطالب ، ١٤٢٣ . "

كان خطاب النبي صريح في مسألة المال والدم للمسلم وبلغ من تقدير النبي له إلهي انه قرن بين مال المسلم ودمه بالشهر الحرام والبلد الحرام حتى لا يتعدى أحد على أحد وإلا أصبح هذا المعتدى كأنه اعتدى على حرمة البيت الحرام والشهر الحرام وربما أكثر ، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

“ أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ” .

ومع هذا فإن التقارير الحقوقية والإنسانية تشير أن هذه الحكومة السعودية ومنذ أن استولت على مقادير الأمور في الجزيرة العربية والحجاز فغنما قتلت الناس على الهوية وعلى المذهبية ، أشعلت النار في الهشيم واحرقت بها الأبرياء وحبستهم وقيدة حريتهم دون سند شرعي لهم فيه من الله بركان ، ولا يزال العديد من رجال الدين من مختلف المذاهب قابعين في السجون . ويعد الشيخ الحنبلي سعيد الزعير أقدمهم مدة في السجن ، حيث يقضي في سجن الحائر خارج الرياض منذ سنوات .

كما تم سجن كل من الشيخ عبد اللطيف محمد علي والشيخ سعيد البحار والشيخ حبيب حماده مع آخرين من رجال الدين الشيعة في المنطقة الشرقية منذ سنوات بتهم مجهولة حيث تم الإفراج عنهم مؤخراً .

وقد تم اعتقال الشيخ الإسماعيلي محمد الخياط بينما كان يقوم بالتدريس في مسجد المنصورة بنجران يوم ٢٣ أبريل ٢٠٠٠ حيث اتهم بالسحر والشعوذة . وقد أثار اعتقاله صدامات بين أفراد الطائفة الإسماعيلية وقوات الأمن مما تسبب في سقوط (٦) قتلى وسجن (٦٠٠) . وأشار مصدر أن الحكومة أجبرته على الإقرار بالتهم المنسوبة إليه على شريط فيديو بعد اعتقاله [٣٥] .

وقد أوقفت المباحث رجال دين شيعة عن العمل على مدى السنوات الماضية . والجدير بالذكر أن رجال الدين الشيعي الجعفري المعروف الشيخ حسن الخويلدي (٤٠ عاما) أوقف عن إلقاء الخطابات في شهر محرم بعدما ذكر في إحدى خطابه حادثة توبيخ

الحكومة لبعض المدرسات الشيعيات اللاتي لبسن السواد في عاشوراء . و الجدير بالذكر أن لبس السواد تقليد عند نساء الشيعة في شهري محرم وصفر .

وهناك رجال دين آخرون منعوا عن العمل في السنوات الماضية ، منهم الشيخ عايش القرني وهو رجل دين وهابي من الرياض . وكذلك الشيخ علي عبد الكريم العوى ، وهو رجل دين من العوامية ، منع من ممارسة أية نشاطات دينية منذ . وكذلك الشيخ جعفر المبارك من صفوى ، منع من إمامة الصلاة وتدريب الأطفال الدين وأصبح صيادا للسمك بعد إطلاق سراحه من السجن قبل سنوات [٣٦] .

وفي ٩ يوليو ٢٠٠٠ تم السماح لكل من الشيخ سفر الحوالي والشيخ ناصر العمر – وكلاهما وهابيين – بالعودة للتدريس مرة أخرى . وقد أطلق عن سراحهما بعد سنوات من الاعتقال بسبب آرائهما السياسية . والجدير بالذكر أن الشيخ ناصر العمر هو مؤلف مذكرة بعنوان << واقع الرفض في بلاد التوحيد >> ، كتبها عام ١٩٩٢ إلى هيئة كبار العلماء مناشدا الحكومة بتدمير كافة حسينيات الشيعة ، واعتقال رجال الدين لديهم وطرد كافة موظفي الحكومة الشيعة من وظائفهم [٣٧] .

وعلى الصعيد الذهبي وعلاقة رجل الدين جرى تجاهل الحجازيين – وفي الواقع غير السلفيين في كل أنحاء المملكة – وبشكل شبه كلي منذ تأسيس الدولة ، فلا يوجد اليوم اسم ديني حجازي على المستوى الديني للمملكة ، بل أن المؤسستين السياسية والدينية لا تشعران بارتياح لبروز إي شخصية دينية حجازية – أو بالأصح غير سلفية رسمية – وذلك لتداخل المسألة الطائفية بالموضوع السياسي ، ولا أدل على ذلك الإثارات التي صاحبت مفتي الحجاز وزعيم مكة مع أتباعه . وقد كان الصراع في مظهره طائفيًا ، بحجة إحياء المولد النبوي الشريف ، وهو أمرٌ يعتبره أتباع المدرسة الوهابية كفرًا وشركًا ، فتمت مضايقة المالكي وأتباعه وجرى توقيف بعضهم . أما الشيخ المالكي نفسه فتعرض لهجوم حاد ، ومنع من التدريس في الحرم المكي ، وطبعت كتب متعددة داخل المملكة ووزعت تهاجمه لشخصه وتطعن في معتقده (الصوفي !) وتصمه بالمروق عن الدين

. منذ ذلك الحين أواخر الثمانينيات الميلادية بدأت كتب الدكتور محمد عبده يماني بالظهور والتي تمحورت حول الولاء للرسول ولآل البيت وصحابته الكرام ، واعتبرت تلك الكتابة رداً غير مباشر على الكتب التي صدرت ضد الحجازيين وزعيمهم ، وبينما كتاب سفر الحوالي الذي كفر فيه أهل الحجاز بدعاوى الشرك والتصوف ! وللحق ، فإن تياراً دينياً مسيساً في الحجاز بالمعنى المتعارف عليه في مناطق المملكة لم يوجد بعد . ويشكل عام فإن التوجهات الدينية والسياسية التي تصدر من الحجاز يغلب عليها طابع الاعتدال ، ويميل الحجازيون إلى المؤسسة الدينية في مصر والى رموز دينية مصرية وسورية وغيرها ، حيث يرون في هذه المؤسسات والشخصيات أنها أقرب إلي تمثيلها دينياً من المؤسسة الدينية الوهابية . وفي المجال السياسي تجد أن حركات أو دعوات الإصلاح القائمة على أسس دينية في الحجاز أكثر اعتدالاً من مثيلتها في نجد ، ومثال ذلك العريضة التي غلب عليها الطابع النخبوي الحجازي في عام ١٩٩١ ، في حين – بالمقارنة – تجد عرائض النجديين الدينيين حادة عنيفة جذرية إقصائية ، ومثال ذلك مذكرة النصيحة .

بيد أن الهدوء الذي شهده الحجازيون طيلة العقود الماضية ، والذي يرجع في جزء كبير منه إلي القمع المركز على الهوية التسعينيات حين ظهر أن دعوات الإصلاح السياسي لم تثمر إلا مزيداً من التشدد الوهابي ، ومزيداً من الصلاحيات من العائلة المالكة لحليفها الديني الذي حول البلاد إلي مزرعة للتطرف والعنف . ولهذا بدأ عدد من شخصيات الحجاز منذ نحو عقد ونصف باتحاح حل راديكالي هو الإنفكاك عن الدولة السعودية والانسلاخ عنها ، في محاولة لاستجماع الذات المنكسرة والمتشظية ، وفي تعزز في عهد الملك فهد بشكل فاق كل التصورات . يبدو أن النخبة الحجازية تميل اليوم إلي البحث عن الدولة (الحجازية) الضائعة أنقاصاً للذات وللهوية ..

فالتحربة التاريخية مع نظام الحكم – كما يقول بعضهم – لم تغير من مسلكه ، وأن الدولة منذ تأسيسها تسير باتجاه الخطأ الذي لا يمكن إصلاحه ، وبالتالي فلحلول الوحيدة المتاحة اليوم هو إنها الهيمنة النجدية السياسية والدينية إلي الأبد .

المحور الثالث : إسقاط العهود والعادات والتقاليد والمبادئ الجاهلية والبراءة من المشركين والمخالفين وعدم توليتهم وتقديمهم على غيرهم من المسلمين :
والتي تعنى تمييز الناس بناء لمناطقهم أو عائلاتهم أو مذاهبهم أو قربهم من السلطة وطاعتها أو عصيانها.

والأكثر جرماً من هذا هو مخالفة مبادئ الإسلام المعلنة قبل الدخول إلى الحج الأعظم، والتي تعني تولي المشركين وعدم التبوء منهم أو التبوء من المؤمنين وتولي المشركين المعاندين لله ورسوله، وربما تجاوز حكام آل سعود هذا فأصبحوا خير عون لأعداء الأمة من الإنجليز والأمريكان والصهاينة والفرنسيين والصهاينة، وهنا ضاعت حرمة الحرم والبيت الحرام والبلد الحرام فأصبح وجودهم فيه أو دخولهم إليه أمراً طبيعياً وإن أنكروا هذا كذباً وادعاء مخافة لقول الرسول ووصيته صلى الله عليه وآله وسلم: " وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . ايها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

وكذلك آيات القرآن الكريم في سورة التوبة والتي مثلت إعلان مبادئ للأمة يجب العمل بها، غير أن هؤلاء المتحدرون من سعود بن مقرن شهد التاريخ المون والمثبت والشواهد أنهم كانوا يتوالون المخالفين للأمة والمعتمدين عليها وهؤلاء يمثلون قتال الأمة وسراقها، ومع هذا فإنهم حلفاء الطبيعيين والأصليين لآل سعود، وقد اعترف عادل الجبير، مستشار ولي الهد السعودي الأمير عبدالله، بوجود تنسيق أممي عالي المستوى، بين

الحكومة السعودية والولايات المتحدة الأمريكية، في مكافحة الإرهاب، وقال بأننا قد طلبنا من أصدقائنا الأمريكيين أن يساعدونا في مواجهة (الإرهابيين)، كونهم يملكون الخبرة والإمكانات التي لا تتوفر لدينا، وكشف عن وجود أميركيين يعملون مع السعوديين. جنبا إلى جنب، في ملاحقة (الإرهابيين)، على حد قوله.

إن هذا الاعتراف العلني للدولة السعودية، بوجود علاقة أمنية مع اميركا وبوجود تنسيق أمني وثيق مع الحكومة الأميركية يتعبر الأول من نوعه منذ مدة طويلة، إذ كان المسؤولون السعوديون يتكتمون على هذا النوع من العلاقات المشينة، وكانوا يحاولون التستر على كل عمل سياسي أو أمني في السعودية يشارك فيه رجال الـ (CIA)، أو عناصر الأمن الأميركيين، أو من يسمون بالخبراء وبالمتخصصين وما شكل ذلك من مسميات وتسميات.

إن هذا الاعتراف السعودي بوجود رجال أمن أميركيين، في داخل أراضي الجزيرة العربية، ويتدخلون في أخص الشؤون الداخلية للدولة، يكشف عن علاقات خطيرة بين آل سعود وبين الأميركيين منذ عهود طويلة، وليست هذه العلاقة الأخيرة سوى قطرة صغيرة في بحر واسع من العلاقات السرية المنتظمة والمطرودة، تشمل جميع جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية، والتعليمية، فضلاً عن الأمنية، والتجسسية. إن هذه الدولة المصطنعة المسماة (السعودية)، ومنذ تأسيسها، أوجدها الكفار المستعمرون، لكي تكون معول هدم فعال لهم في تدمير الدولة الإسلامية، ومن ثم لتكون عقبة كاداء في وجه العاملين لإعادة بنائها.

فبريطانيا في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وعن طريق عميلها عبدالعزيز بن محمد ابن سعود، مؤسس الدولة السعودية الأولى، سعت إلى ضرب الدول الإسلامية من الداخل، فأل سعود عملاء للإنجليز منذ تأسيسهم لأول دولة لهم في داخل دولة

الخلافة، ولكن هذه الدولة العميلة قدر الله سبحانه لها أن تنتهي في سنة ١٨١٨م على يد عميل فرنسا محمد علي، والي مصر العثماني آنذاك.^{١٠}

وفي أوائل القرن العشرين، وجدت بريطانيا أن آل سعود هم أفضل من يستخدم في تثبيت الاستعمار البريطاني، بعد سقوط الدولة العثمانية، لذلك مكنوهم من الحجاز ونجد، وأخرجوا عملاءهم الهاشميين من الحجاز، وعوضوهم عنها في الأردن والعراق. وبعد ظهور النفط بكميات كبيرة، وتذوق الأميركيين لطعمه، طالبت أميركا رسمياً، بريطانيا بإعطائها حصة في نفط الخليج فرفضت في البداية بريطانيا ذلك، ولكن وتحت الضغط أعطتها حصة في نفط السعودية، واستأثرت لنفسها بنفط إيران، والعراق، والكويت، وقبلت بريطانيا بإعطاء أميركا نفط السعودية لسببين هما: -

- ١- مكافأة لها على مساعدتها إياها في الحرب العالمية الأولى.
- ٢- استخدامها في حروبها في المستقبل، لمساعدتها في مواجهة أعدائها.
- ٣- وبالرغم من أن بريطانيا كانت قد اعطت أميركا النفط في السعودية، إلا أنها احتفظت لنفسها بالسيادة والسيطرة العامة على الجزيرة عسكرياً وسياسياً، وتم تعيين مستشارين (حاكمين) للملك عبدالعزيز مؤسس الدول السعودية الحالية: أحدهما بريطاني وهو مستشار سياسي وعسكري، والثاني أميركي وهو مستشار نفطي اقتصادي .

وهكذا ومنذ ظهور النفط في الجزيرة أصبحت السعودية بقرة حلوباً لأمريكا، ومازالت كذلك حتى الساعة، ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية جاء روزفلت الرئيس الأميركي إلى الشرق الأوسط، واجتمع بالملك عبدالعزيز في البحيرات المرة، على ظهر الطراد الأميركي (كوينسي) وقال له الملك عبدالعزيز "أنت أخي وكنت اشتاق دائماً إلى رؤيتك، وأريد أن يكون تعاملنا معك أنت، وليس مع غيرك، لأنك رجل مبادئ، ونصير حقوق، ونحن العرب نتطلع إليك في طلب العدل والإنصاف من تحكم واستبداد الآخرين" (يعني

^{١٠} - ناصر السعيد ، تاريخ آل سعود ١/ ١٢٣.

الإنجليز). ومنذ ذلك التاريخ تحولت السعودية تحولاً كاملاً إلى أميركا، وقول عبدالعزيز "أريد أن يكون تعاملتي معك أنت وليس مع غيرك" وقوله "نحن العرب نتطلع إليك في طلب العدل والإنصاف من تحكم واستبداد الآخرين" يشير صراحة إلى أنه انتقل إلى موالاة أميركا موالاة تامة في جميع الشؤون، بعد أن كان موالياً للإنجليز في بعضها، موالياً لأميركا في بعضها الآخر.

وأكمل ابنه سعود مسيرة العمالة لأميركا من بعده إلى أن تم إقصاؤه عن الحكم، وعاد الإنجليز إلى السعودية في زمن الملك فيصل. لكن أميركا لم تهدأ في العودة بقوة إلى السعودية، ونجحت في العودة إليها تدريجياً بعد قتل الملك فيصل، عن طريق ابن أخيه القادم من أميركا، ثم بعد موت الملك خالد الذي كان لا علم له بالسياسة، عادت أميركا وحسنت الأمور لها نهائياً مع تولي الملك فهد الحالي للحكم، الذي صرّح في إحدى سهراته في أميركا لمجلة تايمز الأميركية: "لقد أخطأ أتاتورك لأنه سعى لهدم الإسلام من الرأس، أما أنا فسأهدمه من الجذور".^{١١}

وفتحكم الملك فهد الطويل، أقامت أميركا في السعودية القواعد العسكرية الضخمة، كقاعدة الأمير سلطان، وأخذت من آل سعود جميع الامتيازات المطلوبة، وحوّلت الجزيرة العربية إلى منطقة عسكرية أميركية مغلقة، استخدمتها استخداماً فعالاً في حروب الخليج الثانية والثالثة.

هذه هي العلاقات السياسية السرية منها والعلنية بين آل سعود وأميركا، ومن قبل بينهم وبين بريطانيا، تلك العلاقات التي جعلت من أرض الجزيرة، أرض الحرمين الشريفين، ترسانة عسكرية أميركية كبيرة، والتي مكثت أميركا عن طريقها من التحكم في أكبر صنوبر للنفط في العالم أجمع.

لذلك كله ، لا يجوز السكوت عن آل سعود ، الذين أشربوا الخيانة حتى الثمالة ، واستمرارهم في العمالة ، وأصبحوا عريقين فيها ، وتوارتوها كابراً عن كابر ، وجيلاً بعد جيل .

إن على العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أن يدركوا أن مثل هذه الدولة ما وجدت إلا من أجل ضرب الإسلام ، والحيلولة دون عودته ، وأن يعملوا لإعادة الخلافة الرشدة في المهد الذي ولدت فيه . فإن الإسلام غائب عن الحكم في السعودية مثلها مثل باقي بلاد المسلمين .

المحور الرابع : حرمة البلد الحرام وقدسيته مقدمة عن غيره وحرمة الأشهر الحرام : ففي قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلي أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد " . وكذلك قوله (ص) : " أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تُحقرون من أعمالكم . أيها الناس ، إنما النسيء زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلون ما يحرمونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليؤثثوا عدة ما حرم الله ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنتا عشرة في كتاب الله [يوم خلق] السموات والأر ض ، منها أربعة حُرْم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد " .

هذا القول المعلم يقتضى أمراً ، الأول حرمة أهل مكة وشرفهم وأنهم أهل البيت ، الذي هو بيت الله تعالى وهم جيرانه وجواره ولهم حق الجوار فما بالكم انهم جيران بيت الله . الآخر : حفظ حرمة المكان (البيت الحرام) فلا يجوز فيه الاعتداء أو الاقتتال أو تهديده والأمر المقدم عن كل هذا أن لا يدخلها (مكة) مشرك أو مخالف طبقاً لقول الله الواضح في سورة التوبة ، لكن ، ويا أسفا فقد احدث آل سعود كل تلك الجرائم مجتمعة ولم يتركوا منها شيئاً إلا اقترفوه دون حرمة لحرمة أو لدين .

في الثمانينيات من القرن الماضي ، وفي قصر الملك فهد (ملك المملكة الراحل) بجدة وبحضوره ، في مجلس ضمّ المرحوم السيد محمد علوي المالكي وجمع من النخبة الدينية والسياسية النجدية ، قام أحد مشايخ الوهابيين ممتدحاً الملك قائلاً بأن أباه (عبد العزيز) قد (فتح مكة) و (طهرها) من الأصنام الأوثان ومن الشرك والكفر .. فانتمض السيد المالكي وقام خاطباً ضد ذلك الشيخ الوهابي ، ومؤكداً بأن مكة بلد الإسلام طاهرة من الأصنام ومن الشرك منذ أن فتحها وطهرها محمد صلى الله وسلم ؛ وحينها خشي الملك من تداعي الصدام والخصام ، فقام وفرّق المجلس بحجة الصلاة التي لم يكن موعدها قد حان بعد !

الوهابيون – كما هو معروف – يكفرون كل المسلمين داراً للإسلام عدا دارهم هم (نجد) ويشمل ذاك البقاع المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف ، حيث يرونها بلاد كفر وشرك وزندقة لا تجوز الإقامة فيها إلا إنغ كانت تحت ولايتهم . إضافة على أنهم – وكما هو معروف أيضاً – لا يرون غيرهم مسلماً . لكن البقاع التي تصير تحت سيطرتهم بعد غزوها وتكون لهم السيادة عليها تصبح جزءاً من بلاد الإسلام ، أما قاطنو تلك الديار فيبقون كفاراً – تحت الاحتلال والوصاية السعودية / الوهابية – كما هو الحال اليوم بالنسبة لمناطق المملكة في الغرب والشرق والجنوب .^{١٢}

قيل إن الوهابيين قد خففوا غلواءهم ، وقبلوا على مضمض الاعتراف بأهل السنة على أنهم مسلمون . لكن مصطلح (أهل السنة والجماعة) لا ينطبق إلا على الوهابيين بحسب فتاوى مشايخهم ، وبينهم الشيخ العثيمين وكذلك سفر الحوالي والشيخ صالح الفوزان وغيرهم . لكن القناعة المتأصلة في التراث الوهابي ، والتي لم يجرّ تغيير عليها ترى بأن غير الوهابيين ليسوا مسلمين صادقين ، وإن جرى إلحاقهم – قسراً – بالإسلام ، لغايات رآها ولي الأمر ، ورأى فيها المشايخ الوهابيون لهم مصلحة .

هذا ما يعبرون عنه في كتبهم وفي مجالسهم الخاصة . وهناك خشية حقيقية أن يؤدي عدم اعتراف الوهابيين بإسلام الآخرين إلى إخراجهم هم عن دائرة الإسلام كما حدث في الماضي ، أو عن دائرة أهل السنّة ، فالمسلمون بأكثريةهم أقدر على نبذ الوهابيين من نبذ الأخيرين لهم . ولهذا كان (اعتراف الوهابيين) بإسلام غيرهم قد جاء على مضض ولمصلحة ارتأيت ، وليس بالضرورة عن قناعة . ولذلك ترى أنهم وتحت الياقطة العامة (الجميع مسلمون) يبدءون بتكفير كل قسم على حدة ، فالصوفية كفار ، ومن يفعل كذا كافر ، ومن يقول كذا كافر ، بحيث لا يبقى في المحصلة النهائية غيرهم ، والحجة الجاهزة : نحن لا نكفر إلا من كفره الله ورسوله !

وقد تنبّه الشيخ ابن باز إلى إمكانية فصل الوهابية عن المذاهب الإسلامية السنية ، واعتبارها مذهباً قائماً بذاته ، وهذا يعوّق انتشار الدعوة الوهابية ويحصرها في محيطها النجدي .. ولذلك نراه شديد اللهجة ضد من يريد فصل الوهابية عن المذاهب السنية^{١٣} . فيما يتعلق بفتاوى الوهابية بشأن اعتبار مكة بلاد كفر ، وأهلها كفار ، هناك جواب لأحد كبار علماء الوهابية السابقين وهو الشيخ حمد بن عتيق ، قيل أنها كانت جواباً لمن ناظره في حكم كفر أهل مكة وما يقال في كفر مكة نفسها . وحسب الكتاب الذي طبعه الملك عبد العزيز على نفقته الخاصة والذي حمل عنوان : (المجد في تاريخ نجد) ، فإن الشيخ حمد بن عتيق ، يرى مكة بلاد كفر ، وأهلها كفار ، وقد قال ذلك بضرس قاطع ، لأنه يمارس في مكة البدع والشرك ، ولأن المكيين لم يمنعوا ذلك ؛ والأهم أنهم (معادين أهل التوحيد) أي معادين لوهابية نجد ، فحق عليهم وصف أنهم يريدون إزالة الدين وتخريب بلاد الإسلام ! فضلاً عن أنهم – أي أهل مكة – لم يقبلوا بالوهابية (الدين الصحيح) (فكيف لا يحكم عليهم بالكفر؟!) . زد على ذلك أن المكيين كفار مرتدون ، بحسب مشايخ الوهابية – لأنه حصلت منهم (موالاتة أهل الشرك والانقياد لهم) ويقصد بذلك الحكومة العثمانية . لهذا كله ، فإن كفر أهل مكة أعظم من كفر الجاهليين في عهد

^{١٣} – عبد العزيز بن باز ، موقع إلكتروني.

الرسالة الأولى ، ولا يجب على الوهابيين أن يغتروا بصلاة وحج وصوم وتصدق أهل مكة فموقفهم من الوهابية يكفي للحكم عليهم بالكفر وتاردة .

جرت المذاكرة في كون مكة بلد كفر أم بلد إسلام ، فنقول وبالله التوفيق :

قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد الذي هو دين جميع الرسل ، وحقيقته هو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله ، وهو أن يكون الله معبود الخلائق ، فلا يتعبدون لغيره بنوع من أنواع العبادة ، ومخ العبادة هو الدعاء ومنها الخوف والرجاء والتوكل والإنابة والذبح والصلاة وأنواع العبادة كثيرة ، وهذا الأصل العظيم الذي شرط في صحة كل عمل .

الأصل الثاني : هو طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أمره ، وتحكيمه في دقيق الأمور وجليلها ، وتعظيم شرعه ودينه والإنغان لأحكامه في أصول الدين وفروعه . فالأول ينافي الشرك ولا يصح مع وجوده ؛ والثاني ينافي البدع ولا يستقيم مع حدوثها ، فإذا تحقق وجود هذين الأصلين علماً وعملاً ودعوة وكان هذا دين أهل البلد – أي بلد – كان بأن عملوا به ودعوا إليه وكانوا أولياء لمن دان به ومعادين لمن خالفه ، فهم موحدون .

وأما إذا كان الشرك فاشياً مثل دعاء الكعبة والمقام والحطيم ودعاء الأنبياء والصالحين ، وإفشاء توابع الشرك مثل الزنا والربا وأنواع الظلم ونبذ السنن وراء الظهر وفشو البدع والضلالات ، وصار التحاكم إلى الأئمة الظلمة ونواب المشركين ، وصارت الدعوة إلى غير القرآن والسنة ، وصار هذا معلوماً في أي بلد كان ، فلا يشك من له أدنى علم أن هذه البلاد محكوم عليها بأنها كفر وشرك ، لا سيما إذا كانوا معادين أهل التوحيد وساعين في إزالة دينهم وفي تخريب بلاد الإسلام .^{١٤}

وإذا أردت إقامة الدليل على ذلك ، وجدت القرآن كله فيه ، وقد أجمع عليه العلماء فهو معلوم الضرورة عند كل العالم .

وأما قول القائل ما ذكرتم من الشرك إنما هو من أهل الآفاق لا من أهل البلد ، فيقال له أولاً هذا مكابرة ، وأما عدم علم بالواقع فمن المقرر أن أهل الآفاق تبع لأهل تلك البلاد في دعاء الكعبة والمقام واحطيم كما يسمعه كل سامع ويعرفه كل موحد وهذا خاص بأهل مكة الذين كفرهم آل سعود واتباعهم من الوهابية .

الخوان يستهلون وآل سعود يدكُون - الحرم :

أما الاعتداء على حرم الله والقتال داخل الحرم والمشركين ففي يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٩٧ م والذي صادف اليوم من عام ١٤٠٠ الهجري ، في الساعة الرابعة والنصف من صبيحة هذا اليوم ، تجمع عدد من الناس اكبر من المعتاد وركعوا هناك عند بزوغ الفجر حول (مقام) إبراهيم .. كانوا حوالي ٥٠٠٠ من المصلين . كان موسم الحج قد انتهى قبل فترة قصيرة ، ولكن العديد من الحجاج تخلفوا في المدينة المقدسة ، وكان ذاك اليوم ذا أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي ، لأنه كان أيضا بداية العام الهجري ١٤٠٠ .

وبينما كان إمام المسجد الأكبر ، الشيخ محمد ابن سبيل " يتقدم ليؤم هذه الصلاة الخاصة جداً من صلوات الفجر ..

دفعته يد قوية بعيداً ، واطلق عيار ناري ، تبعه عياران آخران ، ثم سقط مساعد له صريعاً . كان جهيمان بن محمد العتيبي هو الذي أطلق العيارات النارية ، بينما كان محمد بن عبد الله القحطاني يصرخ في ميكروفون الجامع معلناً انه المهدي المنتظر ، حسبما هو مكتوب : " سيلجأ المهدي ورجاله إلى المسجد الحرام ويحتمون به لانهم مضطهدون في كل مكان يضطهدون حتى انهم لا يجدون ملجأ إلا المسجد الحرام " . في حين تجمع عدد من رجال القبائل مشعثي اللحي حول مهديهم - المزعوم ، يصافحونه ويقدمون له الولاء .

وكانوا يصيحون .^{١٥}

هرب الشيخ محمد بن سبيل بأن رجع إلى غرفة الهاتف العمومي في الحرم ليطلب المساعدة . وفي حين بدأ الهجوم على الحرم في الساعة ٤,٣٠ صباحاً ، وبعد مكالمة هاتفية ثانية اجريت في الساعة ٨,٣٠ . ربما يجادل البعض بأن ثلاث ساعات كانت كافية تماماً ليحصن المتمردون أنفسهم داخل المسجد عن طريق إغلاق بواباته و " تنظيم " دفاعاتهم . وحقيقة أن كميات كبيرة من الذخائر قد أدخلت إلى المسجد بمثل هذه السهولة هي حقيقة لا يجوز تجاهلها . ومع أن المسجد هو مكان عام يرتاده الناس للعبادة ، وهو بالتالي مفتوح لجميع الحجاج ، فإنه يبقى أكثر الأماكن العامة تعرضاً للخطر في المملكة العربية السعودية نظراً لسياستهم وسيلسة حلفائهم من الوهابيين .

أثناء حالة الفوضى العارمة التي أعقبت ذلك ، حاول القحطاني ، القائد المساعد للمهاجمين ، أن يقنع السعوديين من الحجاج الهاربين بأن " زعيمهم " هو المهدي ، وان عليهم أن يعترفوا به زعيماً . وعلى امتداد الأسبوعين التاليين استخدمت السلطات السعودية كل الوسائل المتوفرة لاستعادة السيطرة على الحرم . فشلت كل الهجمات العسكرية المباشرة الأولى ، كان على السلطات السعودية أن تخذ بعين الاعتبار الشكل الذي سينتهي إليه بناء المسجد بعد الهجوم . كيف سيقدم المسجد الحرام إلى بقية العالم الإسلامي ، وبأية صورة ؟ وما مدى نجاح السلطات في أداء " واجباتها الوقائية " ؟ لمثل هذه الأسباب ، وأيضاً لعدم الخبرة للقوات السعودية التي ماتزال تعتمد في فلسفتها الدفاعية على الحماية الخارجية لحلفائهم (أعداء الأمة) ، هنا لجأت الرياض لطلب المشورة الفنية والنصحية من فرنسا !! .

^{١٥} - جيمس باكان ، دعوة الاخوان ١٩٧٩ ، ص٢٣ دافيد هولدن وريتشارد جونز ، آل سعود نشوء وحكم أقوى بلاد حاكمة في العالم

أرسلت باريس على جناح السرعة عدداً من رجال بوليس التدخل الوطني لقمع الإرهاب

(GIGN) ، الذين اقترحوا استخدام غازات الأعصاب (في الحرم) . ترددت الرياض ، ولكن ارتفاع أعداد الخسائر البشرية بين الجنود السعوديين المشاركين في هذا الهجوم العقيم على الحرم ، اقنع السلطات بقبول المشورة الفرنسية . ورغم استخدام غاز الأعصاب (C.B) . الذي ضرب به المسجد الحرام ، لم يستسلم العتيبي واتباعه إلا في الخامس من ديسمبر - كانون الأول - ١٩٧٩ م . قتل العديد منهم في معارك يدوية داخل أقبية وسرايب المسجد ، وحين خرجوا بعد أسبوعين ، عرض المتمردون على كاميرات التلفزيون باعتبارهم منتهكين " مدنسين " لقدسية الحرم ، ووحوشاً !! .

إن ما حدث في مكة لم يكن مجرد حادثة عارضة ، ولم يكن فقط مرتبطاً بالاضطرابات في المنطقة الشرقية من المملكة والتي قادها الشيعة المحرمون ، ولكنه كان لطمة عنيفة لهيبة ومكانة آل سعود . كان من الطبيعي أن تشن السلطات السعودية حملة إعلامية كبرى لتسفه وتشويه العتيبي ورسالته .

يمكن فهم رسالة العتيبي على افضل صورة ضمن السياق التاريخي الذي أدى إلى الاستيلاء على شبه الجزيرة العربية . فقد كان عبد العزيز ابن سعود وعلماء الدين هم الأقطاب السياسيين والدينيين للتحالف الثلاثي الأول الذي نجح في محاولاته . في ذلك الوقت ، اقر الحاكم واعترف بأن مخططه لتوحيد الأقاليم القبلية لا يمكن تحقيقه بدون دعم الإخوان الذين لعبت مستوطناتهم التي انتشرت في جميع أنحاء شبه الجزيرة دوراً حاسماً في تنامي السلطة " السعودية " . واستطاع العلماء أن يباركوا التحالف ، واستطاع الملك أن يكسب الولاء عن طريق إجراءات معقدة محيرة مثل التزاوج بين القبائل ، ولكنه كان ما يزال بحاجة إلى القوة العضلية لقهر جيوب

المقاومة لمخططه السياسي . وهذا مالم يكن بإمكانه تحقيقه إلا بواسطة جنود مهوسيين مثل الإخوان . إلا أن الإخوان كانوا يتوقعون ، مقابل خدماتهم الفريدة من نوعها ، أن يدوم نفوذهم وتأثيرهم في المملكة لفترة طويلة من الزمن .^{١٦} إلا أن الصدام بين إدارة عبد العزيز المستهين بالقواعد الشرعية ، وبين ممارسات الإخوان المتزمته كان حتمياً ، ودام الصدام بين الطرفين عدة أعوام ، إلى أن انتصر الملك اخيراً في منتصف الثلاثينات . من المهم جداً أن نلاحظ أن الإخوان الذين صوروا أنفسهم على أنهم المدافعون عن الدين الصحيح وحماة قانون الشريعة لم يكونوا يعارضون فقط أفكار الملك الحديثة " البراجماتية " فبالإضافة إلى معارضة الخطوات التجديدية ، بما في ذلك الاتصالات البرقية والسيارات ، كان الإخوان يحاربون دفاعاً عن حياتهم السياسية .

كان التحالف السياسي بالنسبة لهم " تحالفاً ثلاثياً " ، في حين انه كان ، بالنسبة لآل سعود والعلماء ، وسيلة استقطاب في نظام ثنائي .

كان الإخوان يهدفون إلى حماية مؤسساتهم القبلية ، ويخشون تلاشي قاعدة قوتهم الرئيسية نهائياً . وقد أجبرت التطورات اللاحقة العديد من المستوطنات الاخوانية أن تتخلى عن استقلالها وان تنصهر في هرمية المملكة القبلية الجديدة .

كان عليهم الاختيار بين هذا وبين الهزيمة النهائية . ولكي لا ينسى أحد هذه النقطة ، كان العتيبي يقاتل بالفعل لاستعادة مركز الإخوان في حكم البلاد ، وهذا لا يقلل من قيمة الفروق العملية بين ملك ذي أهداف سلطوية كبرى وبين متعصبين دينيين كانت أهدافهم تقتصر على حماية امتيازاتهم وإقطاعياتهم . بل على العكس من ذلك ، فإن الصدام الذي وقع بين القلة الحاكمة والإخوان إنما وقع بالرغم من الاختلافات العملية القائمة . وهي حقيقة معروفة أن العديد من قادة الإخوان وعلماء الدين المتشككين قد اقتنعوا اخيراً بقبول تجديدات

^{١٦} - ولهلم ديتيل ، الحرب المقدسة ، ص ٢١١ : ٢١٧

عبد العزيز العملية التي ادخلها إلى العربية السعودية ، حين تم إقناعهم بالبرهان بأن مثل هذه الوسائل يمكن فعلاً أن تساهم في الدفاع عن الدين الصحيح ، وفي دعم قانون الشريعة (أي : في إذاعة الصلوات من الراديو والتلفزيون) . نتيجة لذلك ، كان الصدام بين القلة الحاكمة والإخوان صداماً حول التوزيع المستقبلي للسلطات والصلاحيات .

قلد جهيمان العتيبي سلوك الإخوان ولباسهم بأن ارتدى جلباباً قصيراً ، وراح يدعو إلى تغييرات اجتماعية بسيطة ، تكاد تكون بدائية . رفض واستنكر التلفزيون والتصوير مثلما رفض سلفه البرق اللاسلكي .

كما انتقد الآلات الحديثة والتوجهات الحديثة ، وراح يبحث عن الخيارات البسيطة . ومع ذلك ، فإن استخدامه الكفوء للأسلحة الحديثة (بما في ذلك المدافع الرشاشة) لا يمكن أن يوصف ببساطة بأنه أداء فريد للمقاتلين . فإذا سلمنا بأن الإخوان استخدموا البنادق والأسلحة الأخرى ، وبأن مثل هذا الاستخدام كان يبرر دائماً بمبررات دينية (أي الدفاع عن العقيدة وعن الشعائر الدينية) ، إلا أننا نجد أن العتيبي واتباعه لم يشاركو في صراع إقليمي (صراع حول السيادة على أرض) ، ولم يكونوا يستقطبون أحداً ويقنعونه بقضيتهم الحققة ، وبالتأكيد لم يكونوا مهتمين بالاستيلاء على أرض ذات حدود محددة يمارسون فيها شعائر دينهم بسلام .. لم تكن رسالتهم مجرد معارضة لآل سعود والقلة الحاكمة ونظام تحالفهم القائم ، ولكن رسالتهم ضمت أيضاً المناداة والإعلان عن المهدي المنتظر . من يؤكد أن استخدام الوسائل " الحديثة " للقيام بأعمال العنف لم يكن ليدفع بالمؤمنين الخائفين إلى الهرع والالتفاف حول القحطاني ، حيث فقد الكثيرون منهم حياتهم داخل الحرم في اليوم الأول من عام ١٤٠٠ الهجري .

كان العتيبي والقحطاني يدافعان عن شرف وكرامة الإخوان المهذورة . أما معارضتهم للقلة الحاكمة ، والتي قدمت ظاهرياً بلغة دينية ، فقد كانت ذات طبيعة سياسية .

لأنجد هذا أكثر وضوحاً وجلاءً في أي مكان منه في كتابات العتيبي الشخصية .
مامدى مصداقية هذه الوثائق المعزوة إلى العتيبي وما هو تأثيرها ؟ .

آل سعود يدكؤون الحرم

بعد أقل من أربع وعشرون ساعة من وقوع حادثة الحرم ، بدأ السعوديون عملهم العسكري ضد المعتصمين ، مستخدمين كافة الأسلحة المتوفرة لديهم (ثقيلة ومتوسطة وخفيفة) إضافة إلى سلاح الطيران – كل هذا في الحرم !! .
ولم يكن السبب في تأخر وصول القوات السعودية إلى الحرم يرجع إلى أن آل سعود ، أرادوا حل المسألة سلمياً ، والاستجابة للمعتصمين بالاجتماع مع مسؤولين منهم يفاوضونهم بشأن الاشكالات والمطالب الشرعية التي اعلنها المعتصون .. وإنما كان التأخير

– رغم كونه قصيراً – يرجع إلى الاستعداد المكثف في تجهيز القوات ، وتطوير ذبول الحادث ، وتهيئة الرأي العام بصياغة بيانات باهتة لا تكشف عن حقيقة الأمر .. إضافة إلى أن الأسرة الحاكمة أرادت أن تسترد أنفاسها وتناقش الأساليب الكفيلة بإنهاء المشكلة قبل أن يسمع بها العالم ، فاتخذت وسائل أولية كان من بينها ، إغلاق المطارات ، وقطع الاتصالات الخارجية ، وتجريد أفراد الجيش من السلاح وغيرها مما ذكرناه في الصفحات السابقة .

ممرات المهجوم السعودي

أشار البيان الأول لوزارة الداخلية ، الذي صدر صبيحة اليوم التالي للعملية (١٩٧٩/١١/٢١ م) إلى أن السلطات قد قامت (باتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف ، وبناء على فتوى من العلماء جميعاً ، واتخذت الإجراءات لحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام) ..

وهذا المقطع يشير إلى تبريرين رئيسيين للجور الذي بدأت به القوات الحكومية قبل صدور البيان ، وهما :

١ / فتوى العلماء " جميعاً " !!!

٢ / حماية أرواح المسلمين المتواجدين بالحرم !

ونريد هنا أن نناقش مسألة (فتوى العلماء " جميعاً ! ") هذه ! ، إما حماية أرواح المسلمين ، فقد أوضحت وسائل الإعلام بما فيه الكفاية أن احداً منهم لم يتعرض لأذى وان جميعهم خرجوا من الحرم بدون إكراه ، وانه لا توجد أية رهائن بيد المعتصمين على الإطلاق ، وهو اعتراف به آل سعود بعد حين .

أما الفتوى من " جميع !! " العلماء ، فهي مفتعلة ، إن لم تكن هناك أية فتوى بهذا الخصوص ، وما قاله البيان لا يعدو في كونه افتراءً واضحاً .. ومما يعزز هذا القول ويؤكدته التالي :

١ / أن السلطات السعودية لم تظهر أي فتوى للعالم ، ولم تنشر الصحافة السعودية هذه الفتوى المزعومة ، رغم حاجة آل سعود إليها ..

٢ / أن الإجراءات الحكومية سبقت الفتوى بأيام ، فالصحافة أعلنت في اليوم السادس للعملية مضمونها الحرفي ، بينما العمل العسكري بدأ - كما تقول مصادر موثقة - بعد غروب شمس اليوم الأول ١٩٧٩/١١/٢٠ م .. أي بعد أقل ١٢ ساعة من وقوع الحادث .. والحكومة نفسها أعلنت أنها بدأت العمل العسكري في اليوم التالي .. بينما وزارة الداخلية أعلنت أن قوات الأمن رتبت إخراج المصلين من الحرم في اليوم الأول .. ولأن كل المصلين - تقريباً - خرجوا بعد صلاة الظهر ، فهذا يدل على أن القوات الحكومية كانت متواجدة منذ الساعات الأولى للحادث ، وتقول مصادر مطلعة أن هذه القوات جاءت بعد أقل من ساعتين من وقوعه . مع ملاحظة أن المصلين خرجوا بعد أن فتح أفراد من جماعة الإخوان بعض الأبواب وبترتيب منهم ، وليس بترتيب من وزارة الداخلية .

٣ / إن أمراء الأسرة الحاكمة فوجئوا بما حدث ، وكان رد فعلهم الفوري هو إرسال قواتهم واتخاذ الإجراءات التي تقطع ذيول الحادث والتي أشرنا إليها آنفاً .. ولم يكن يدر بخلدهم انهم بحاجة إلى فتوى أو ما أشبهه ، فالمهم أن يقضوا على المعارضين وبأي وسيلة ، والفتوى - أن كانوا بحاجة إليها - تأتي تبعاً ، وبعض وعاظ السلاطين مستعدون لتقديمها في أي وقت ، سواء قبل الهجوم أو بعده .. وعلى أية حال كان رد فعل المسؤولين الأولي سريعاً بدون فتوى .

٤ / لو أننا أخذنا كلمة (جميعاً) التي وضعها البيان السعودي الأول إلى جانب كلمتي (فتوى العلماء) ، لكفانا برهاناً يبطل المزاعم السعودية .. فالبيان حرص على أن يقول (العلماء جميعاً !!) ولم يقل (العلماء) ويسكت ، مما أثار الريب والشك ، لأن العلماء (جميعاً !!) لا يقل عددهم عن (١٠٠٠٠) رجل . ولأن هذا العدد موزع على كل أنحاء البلاد ، ولأن هؤلاء العلماء لا تربطهم مؤسسة حكومية واحدة ، فبعضهم تابع لوزارة الأوقات ، وبعضهم لدار الدعوة والإفتاء ، وبعضهم مستقلون ، وبعضهم معارضون ، وكثير منهم يعتقدون بمذهب غير مذهب الولة الرسمي ، وهكذا .. فكيف .. يصح القول أن جميع العلماء أفتوا؟! وكيف استطاع آل سعود أن يجمعوهم في فترة قصيرة لا تزيد بأي حال من الأحوال عن ٢٤ ساعة ، خاصة وأن البيان الذي أشار إلى فتوى (العلماء جميعاً !) صدر في صباح اليوم التالي (١٩٧٩/١١/٢١ م) ولأن العملية وقعت في صباح اليوم السابق فإن الفترة الموجودة ٢٤ ساعة فقط ، ولا بد أن يكون العلماء المزعومون ، اجتمعوا في هذا الوقت وابلغوا بالحادث كل في موقعه أو جيء بكل منهم من مدينته ، ووقعوا على فتوى مزعومة لم يظهر لها أثر قبل أن يعلم كل الناس بالحادث ، وقبل أن تعلن الدولة رسمياً بالأمر في اليوم التالي !!

إنّ فإن القوات الحكومية العسكرية ، قامت بمهمتها قبل استصدار الفتوى ، وما كان آل سعود بحاجة إليها لأنهم كانوا يتوقعون بأن القضاء على المعتصمين سيستغرق فترة قصيرة يمكن خلالها لفلفة الأمور وتغطيتها إعلامياً .. لكن الخبر انتشر من خلال الإذاعات في مساء ذلك اليوم ، والسعوديون قدروا أن الأمر سيستغرق بضعة أيام – على الأكثر – فكانوا بحاجة إلى فتوى تجيز لهم عملهم الجبان بمهاجمة بيت الله الحرم في الشهر الحرام وفي البلد الحرام ، خلال الفترة المتبقية .

المشركون يحطون لحرم

الدعم القوسي :

لى أثر تولي الأمير تركي الفيصل رئاسة المديرية الخاصة للاستخبارات في البلاد ، بدأت العلاقة بين هذه المديرية ، وبين هيئة الاستخبارات الفرنسية في النمو ، وكان ذلك في سبتمبر ١٩٧٧ م . وقد ظهرت حقيقة هذه العلاقة الوثيقة للعيان أثناء انتفاضة الحرم في نوفمبر ١٩٧٩ م ، حينما اعتصم الإخوان المسلمون في الحرم المكي الشريف ، مطالبين بإسقاط الحكم السعودي القائم على الفساد ..

وكان قلق السعوديين من ذلك الحادث عظيماً ، إذ أنه أظهر حقيقة حاول الأمراء إخفاءها بشتى الوسائل ، وهي وجود آلاف قطع السلاح في أيدي الشعب ، ووجود آلاف المعارضين للنظام الذين يستمدون قوتهم من التجمع الديني في المناطق المقدسة ، التي تزعم الأسرة السعودية دائماً أنها موالية لها .

في بداية العملية ، أرسلت المخابرات الفرنسية خبيرها في شؤون مكافحة الثورات (كلنل جيليد) على رأس فرقة من القوة الضاربة للدرك الوطني الفرنسي (GING) . والمدرية على مكافحة مايسمونه ب (العمليات الإرهابية) ، حيث كانت مهمة الفرقة تقديم النصائح فيما يتعلق بتنسيق عمليات القوات السعودية التي تحاصر المعتصمين في الحرم المكي .

لم يؤثر وجود المستشارين الفرنسيين في وضع السعودية كثيراً ، فهذه القوات – رغم تسليحها المتقدم – تفتقد إلى التدريب الجيد ، والتجربة العملية .. لذلك طلب الملك

خالد شخصياً من الرئيس الفرنسي آنذاك (فاليري جيسكار ديستان) ، إرسال مجموعة أخرى من الـ (GING) لتدريب القوات السعودية وقيادتها لانتشال الأسرة الحلكمة من محنتها ..

وحسب معلومات مجلة (لوبوان) الفرنسية ، فإن الحكومة الفرنسية ، أرسلت خمسة خبراء آخرين في ٢٣ / نوفمبر / ١٩٧٩ م لهذا الغرض .. وشيئاً فشيئاً أصبح لدى القوات السعودية قدرة كافية للقيام بهجوم نهائي قادة المستشارون الفرنسيون ، وأدى إلى تحطيم المقاومة داخل المسجد الحرام ، وإعادة السيطرة عليه في الأيام الأولى من شهر ديسمبر ١٩٧٩ م .

وعلى إثر ذلك ، اتسعت رقعة العلاقات بين أجهزة الأمن السعودية ، وبين المخابرات الفرنسية ..ومما زاد هذه العلاقات عمقاً ووثوقاً الصداقة التي تطورت بين الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية ، وبين (ألكسندر مارنشيل) قائد المخابرات الفرنسية آنذ ، حسب ما أكدته معلومات مجلة (لوبوان) .

ومنذ ذلك الحين وحتى الآن ، يزداد عدد المستشارين الفرنسيين العاملين في وزارة الداخلية السعودية وجهاز المخابرات ، وقد شكلت لجنة سعودية فرنسية مشتركة في المجال الأمني ، تضم مجموعة من كبار موظفي الحكومتين ، كان من بينهم (جاك بيير ريتش) من وزارة الداخلية الفرنسية ، و (جاك سولير) قائد البوليس الوطني الفرنسي ..

وتضم من الجانب السعودي الفريق أول عبدالله آل الشيخ مدير الأمن العام ، والفريق أول محمد هلال قائد القوات الخاصة .

الجدير بالذكر أن الحكومة السعودية نفت مشاركة أية جهة أجنبية في قمع المعتصمين داخل المسجد الحرام .. وبعد نشر مجلة (لوبوان) تفاصيل المساعدة الفرنسية بتاريخ ١٩٨٠/١/٢٨ م ، استاء فهد وحكومته من ذلك ، وأوكل لسفارته في باريس أن ترد على مجلة (لوبوان) بالقول : (إن اي قوة أجنبية لم تشترك في

الاقترام الذي قامت الذي قامت به القوات السعودية).. وأن (أن المنطقة التي فيها مكة وبالتالي المسجد الحرام لا يمكن تدنيسها ، إن أن الدخول إلى الأماكن المقدسة غير مسموح به إلا للمسلمين) ..^{١٧}

ولكن متى كان آل سعود يراعون حرمة للأماكن المقدسة ، وهم الذين اقتحموا البيت الحرام بالدبابات ورجموه بالصواريخ ، وألقوا عليه القنابل من الطائرات؟! .. إن آل سعود لا يهتمهم تدنيس بيت الله بتواجد المسيحيين فيه ، وإنما يهتمهم حفظ ملكهم العقيم ، الذي من أجله يقتلون الناس ويدنسون الأماكن المقدسة ، ويهتكون الحرمات

من جهة ثانية ، ذكرت وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية : (أن الرئيس فاليري جيسكار ديستان ، أوفد مبعوثاً خاصاً على مستوى عال إلى الرياض لتهدئة السلطات السعودية التي تشعر بالاستياء نتيجة نشر أنباء عن تدخل قوات فرنسية خارجية لإنهاء عملية المسجد الحرام) ..!!!!^{١٨}

دعم المحاربات الأمريكية والمقبة :

يشير تقرير نشرته صحيفة واشنطن بوست – الوثيقة الصلة بالإدارة الأميركية – إلى أن الحكومة السعودية طلبت مساعدة (هيئة التدريب العسكري الأمريكي) و (قوات سلاح الهندسة للجيش الأمريكي) ، فور قيام انتفاضة الحرم الشريف . وطوال الفترة التي استغرقتها عملية قمع الانتفاضة ، كان المسؤولون السعوديون على اتصال مستمر بالخبراء الأميركيين في مجال الأمن !

ونقلت مجلة (مكافحة الجاسوسية) الأميركية في عدها الصادر في يوليو ١٩٨١ م ، عن موثوق ، أن شركة فينل (Venil) وهي مؤسسة للخدمات الأمنية الخاصة على ارتباط بالمخابرات المركزية الأميركية (C.I.A) ، قدمت خدمات مباشرة

^{١٧} – البلاد ، صحيفة ، ٢٤ / ١١ / ١٩٧٩ .

^{١٨} – البلاد ، مصدر سابق ، نفس العدد .

ومهمة لقوات الحرس الوطني فيما يتعلق بتنفيذ العمليات الخاصة ، وأن هذه الخدمات أثرت تأثيراً واضحاً في قمع الانتفاضة .

وتضيف المجلة ، بأن المحاولات الكثيرة التي بذلتها القوات السعودية للسيطرة على المسجد الحرام واجهت فشلاً ذريعاً ، رغم كونها مجهزة بالسلح المتطور مثل صواريخ تاو (TOW) ، مما دعا الأمراء السعوديين إلى وضع ثقتهم الكاملة في حلفائهم الأميركيين و الفرنسيين .. ومن هذه النقطة توسعت أعمال شركة فينل .

فبعد قمع الانتفاضة بدأت الحكومة السعودية في دراسة برنامج أمني موسع يأخذ في الاعتبار المساعدة الفنية والبشرية التي ستقدمها الولا الحليفة .. وعلى هذا الأساس وقع وزير الداخلية مجموعة عقود قيمتها الأولية ١٥٩ مليون دولار مع عدة شركات أجنبية ، كان حصة (فينل) فيها بمثابة حصة الأسد .. ويشتمل البرنامج الأمني على إنشاء قوات خاصة لمكافحة المل الثوري (الارهاب بتعبير الحكام) ، كما قررت الحكومة شراء عدد من طائرات الهليوموبتر المتقدمة لدعم حركة البوليس في المدن ، وكذلك أنواعاً مختلفة من التجهيزات البوليسية ، مثل المقطورات المصفحة لقيادة العمليات والاتصالات قرب مواقع التمرد والاشتباكات المحتملة ، وأنظمة إلكترونية لأمن المنشآت ، وأنظمة اتصال متطورة .

وبابتداء عام ١٩٨٠ م تزايد - وبشكل ملحوظ - عدد الخبراء الأميركيين في مجال الأمن والتجسس ، والذين كان معظمهم قد أمضى مدة سابقة في خدمة (C.I.A) . وقد انضم هؤلاء الخبراء إلى (ريموند كلوز) الذي كان منذ عام ١٩٧٧ م يعمل كمستشار أول لمديرية الاستخبارات السعودية .. وكلوز هذا هو أحد رؤساء الـ (C.I.A) السابقين ، وقد تكفل بإعادة بناء جهاز المخابرات السعودي مستفيداً من خبراته السابقة كرئيس لفروع المخابرات المركزية الأميركية الإقليمية في لبنان ، ومصر ، والباكستان . أما عن دور الألمان ، فقد وردت معلومات في فبراير ١٩٨٠ م تناقلتها الصحافة الأميركية ، من بينها صحيفة

(**Philadilfia Incurer**) تقول : أن مساعدات ألمانية غربية عاجلة عرضت على المسؤولين السعوديين لإنهاء الانتفاضة ، وأن من مدربي فرقة مكافحة الارهاب الألمانية المعروفة باسم (**G.C.G.9**) أرسلت بناءً على طلب فهد إلى الرياض ، لمساعدة السعوديين في تنفيذ مهمات و صفتها الصحيفة بأنها عاجلة عند الأزمات ..

ومنذ سنوات تبين لدى السعوديين أن الفرقة الألمانية (**G.C.G.9**) هي من أقوى الفرق في العالم على الإطلاق ، في مجال تنفيذ المهمات المستعجلة الخاصة بمكافحة (الارهاب) .. وعلى هذا الأساس ، وردت - وترد - أنباء غريبة متواترة أن الرياض وثقت علاقتها بالمسؤولين الألمان للاستفادة من هذه الفرقة في مجال تدعيم أمن الحكم السعودي ، وذلك بتدريب القوات الخاصة السعودية .. ومن الأمور المؤكدة أن الفرقة الألمانية بعثت بعشرات من المدربين ممن يتقنون اللغة العربية لتنفيذ مهماتهم ..

هذه الحادثة - التي استرسلنا في الحديث عنها - كانت ذات دلالات عدة ، ووضحت بشكل فيه مدى قرب او بعد هؤلاء الحكام من الشرع الحنيف ، ووصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ، ونقضهم لمبادئ الإسلام التي جاءت بها سورة براءة ، ومحاولاتهم الحسياسة إثبات أن هذه المدينة من دخلها ليس آمن خلافا للنص القرآني الثابت و المحفوظ والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في قول الله جل وعلا " ومن دخله كان آمنا " .

كما أنها أثبتت أن المقدس الوحيد ، والوحيد فقط ، لدى هؤلاء هو : الملك والحفاظ عليه ، وإن هدموا البيت ، وازالوا المقدسات ، وقتلوا الحجيج ، وكفروا أهل مكة ، ونهبوا ارض الحجاز .

وأثبتت أيضا وهذا المهم أن الوهابية تمثل غدة سرطانية تبدأ من نقطة (خلية) تكفيرية للجميع ، ولا تنتهي إلا بالاستيلاء التام أو الموت التام ، ولا يصح ولا ينفع وليس من علاج لها غير الاستئصال . إذغ فالقاتل ليس افضل من المقتول ، وذلك لانه

كان كل منهما حريص على قتل صاحبه بغض النظر عن الشهر الحرام (المحرم) وعن المكان الحرام (الكعبة) وعن البلد الحرام (مكة) وعن الدم الحرام (دم المسلم) وهذا منهج متصادم مع خطبة الوداع ووصية المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومناقض لتعاليم الإسلام ذاته .

المشهد الأخير من سباب الفاس واختيارهم إلى مخيمات الـ

(V.I.B) :

يكاد المتابع يجزم أن الكوارث قرينة موسم الحج ، اي بمعنى أنه ما من موسم يمر إلا وعشرات المئات من الأحداث والكوارث التي يشهدها موسم الحج سواء عن عمد أو غير عمد ، بعمد من طرق شتى منها تعصب التيارات الوهابية ونظرتها لنفسها على اعتبار أنها هي فقط الفرقة الوحيدة التي على الإسلام وغيرهم فى احسن التقادير منحرفو العقيدة ، وربما كفروا السواد الأعظم ، ومن هنا يمكن أن نفهم معنى انهم لا يكثرثون للأشخاص التي تقضى نحبها تحت الأقدام أو تحت السيارات أو فى حرائق الخيام أو فى حرائق الفنادق كم حدث هذا العام حين احترق مئات الحجاج فى قبو أحد الفنادق يوم الاثنين ٢٦/١٢/٢٠٠٦ ولم يستطع أحد أن ينجو من هذا الحريق وحصر الجميع فى الأدوار العلوية مما اضطر لاستعمال الطيران الهليكوبتر لإنقاذ بعض منهم .^{١٩}

ولم تكن هذه الحادثة هي الوحيدة فى هذا الموسم ، التي ربما أرجع المسؤولون السعوديون السبب فيها إلى ماس كهرباء أو ما شابه . لكن ماذا يقول هؤلاء المسؤولون عن توقيفهم لحافلات الحجاج العراقيين ، الذين حصلوا على تأشيرات الدخول ، وهم الذين جاءوا من أرضهم المحتلة يلونون ببيت الله الحرام جاءوا من ارض الخوف بفعل الفتنة والأمريكان إلي حرم الله الآمن ، فما كان من سلطات الحكم

السعودي ، إلا احتجاجهم حت يموتون بردا ، بعد أن نجاهم الله من غدر الاحتلال وفرق الموت .^{٢٠}

فهل توقفت ممارسات الحكم السعودي عند هذا ؟.

الإجابة جاءت من محطات البث ووكالات الأنباء بان السلطات استوقفت حافلات حجاج منطقتي القطيف والاحساء ، الذين تعرضوا فى منطقة القويعية للتعطيل والشتائم والضرب المبرح .^{٢١}

وفى الوقت الذي كان يشهد تشدد الوهابية (الجناح الثاني لسلطات الحكم السعودية) ضد أبناء جلدتهم من السعوديين سكان القطيف والاحساء ، واحتجاز عراقيين فى البرد حتى الموت ، كان الجناح الثاني من رجال السياسة والاقتصاد يتجرون فى الحرم من خلال مخيمات ال (فى . أي . بي) التي يتم حجزها عبر شبكات الانترنت أو الشركات السياحية للحجاج ال (فى أي بي !!) المخيمات التي تحتل مكان مميز من الحرم وتحتوى مكيفات للهواء وبسط ومشروبات ومأكولات متعددة الأشكال والألوان ، كل هذا لمن يدفع اكثر لشراء اللقب ولإنعاش بارونات الحج .^{٢٢}

الكلام مقفوع والرعل مرفوع :

فى كل حركة وكل سكنة يثبت مستلبي الحجاز (آل سعود ، والوهابية) أنهم كذلك ، ولا يتركوا لنا أو لغيرنا فرصة واحدة تثبت عكس مانقول ، وما تركوا نقيصة إلا وفعلوها ، وطبقا لما مر علينا ، وكان أجدى بهم أن يرعوا الركن والمقام وزوار البيت الحرام وان يقيموا للناس اجتماعا كونيا شاملا كما فعل النبي صلى الله عليه وال وسلم ، وقوله إلا فليبلغ الحاضر الغائب ، وكأنهم لم يسمعوا ولم يعو ولم يبلغوا رغم أن خطيب عرفة كرر ماقاله النبي صلى الله عليه واله وسلم نصا ، وخرج عليه روحا

^{٢٠} - نهرين نت ، موقع إلكتروني.

^{٢١} - الزمان ، جريدة إلكترونية.

^{٢٢} - الاقتصادية ، موقع إلكتروني ، ٢٠٠٧ / ١ / ٢ .

وموضوعا ، وارى أنه أراد أن يقول إننا لا نعرف من هذا الدين غير طقوسه الشكلية ، وليس لنا علاقة بما يحدث فى فلسطين على الرغم من منعهم هنية رئيس الوزراء الفلسطيني من دخول السعودية وتحالفهم مع الصهاينة والأمريكان ، ونحن فى حل من الأزمة اللبنانية رغم علاقتهم الوطيدة بمربع الشر اللبناني جن بلاط وسعد وجعجع والسنيرة ، ونحن براء مما يجرى فى العراق رغم إقامة القواعد الأمريكية على أراضيهم ودعمهم تيارات العنف السنية ، وانهم أصابهم رمد فلا ينظرون ما يجرى على الأراضي الصومالية رغم دعمهم لفرق المحاكم الإسلامية ، وهكذا فى كل قضية وفى كل قطر وهم يرفعون شعار (الكلام ممنوع والزعل مرفوع) . هذا الشعار الذى لمح له الخطيب عرفة . صرح به وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حين اجتمع ببعض من وفود بيت الله الحرام وخطب فيهم قائلا :

يجب أن تتفرغوا لاداء مناسككم وعبادتكم ، فليس الحج مجالا لرفع الريات السياسية الشعارات والتفاخر والتجمعات السياسية أو الحزبية ، وانما الحج مدرسة لتعلم الوحدة والاتفاق والرحمة والتعاون ورفع راية الإسلام .^{٣٣}

من كل ما سبق نرى بل نعلم علما يقينيا (على مستوى كاتب هذه السطور الشخصي) أن بيت آل سعود حكام هذه البقعة الطاهرة لم يعد لهم خلفية دينية فى أبعادها الروحية والسلوكية والأخلاقية تجاه المسلمين فى أي بقعة من العالم الإسلامي ولا أبناء جلدتهم من سكان المناطق المختلفة ، ورأينا كيف أن هؤلاء خرجوا عن مبادئ الإسلام المعلنة فى سورة براءة وعن خطبة النبي وابعادها فى صهر المسلمين حتى يصبحوا جسدا واحدا إذا اشتك منه عضو (قطر) تداعى له سائر الجسد (الأمة) بالحمى والسهر . من هنا وبناء عليه فإننا نؤكد أن بيت الله الحرام وارض الله

^{٣٣} - الشمس ، صحيفة سعودية ، موقع جريدة الشمس الإلكتروني، وأنظر ، الرياض ، صحيفة سعودية ، ٢٨ ذو الحجة ١٤٢٧ .

المباركة ومقدساتنا الإسلامية هي في خطر داهم ولا يزال هذا الخطر قائما مادامت
هذه الفئة من الحكام هم القائمين على الأمر النافذين في حرم الله .

والله اعلم